بطريركية الأقباط الأرثوذكس

خدمة الشباب

الحياة والرجاء

بقلم

المتنيح الأنبا صموئيل

أسقف الخدمات العامة والاجتماعية

بحث ألقاه المتنيح الأنبا صموئيل أمام مؤتمر الشبيبة والطلاب المسيحيين

في الشرق الأوسط برمانا ـ لبنان ـ ٢ ـ ١٢ يوليو تموز ١٩٦٤

http://coptic-treasures.com

قداسة

البابا شنودة الثالث

http://coptic-treasures.com

(١) ماهو رجاء الحياة ؟

لماذا خلقني الله ؟ سؤال يسأله كثير من الشباب خصوصاً في ساعات اليأس والفشل — وإذ يسمع إجابات متنوعة يحتار ، فمن قائل يقول لكي نعبده ونمجده ، إلى من يقول لكي يختبر طاعتنا ويمتحننا . وهكذا ينظر إلى الله نظرة السيد المتسلط الذي لا يفكر إلا في مجده وعظمته .

وبذلك التفكير نبعد عن الله الكامل في كل شيء ، الذي لا يزيده تمجيدنا له مجداً ، ولا عبادتنا له كرامة . بل نحن نصلي إليه في ليتورجية القديس أغريغوريوس قائلين « لست أنت المحتاج إلى عبوديتي بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك » .

الله الكامل في كل شيء المملوء من الحب والخير خلقنا لنتمتع بحبه وخيراته ، خلقنا ليعطينا من فيضه وليس ليأخذ منا . فأبدع الله صنع الكون لكي نتمتع فيه بكل ما يسعدنا . خلق السماوات وزينها بالشمس والقمر والنجوم ، وخلق الأرض وملأها بكل الخيرات لتكون مسكناً جميلاً يتمتع فيه ابنه آدم ، وأعطاه السلطان الكامل على كل الخليقة .

http://coptic-treasures.com

فبالبهاء خليقته وجمالها « إن السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بأعمال يديه » (مز ١٩:١) .

ومن اليوم الذي خلقنا فيه الله وضع في أيدينا عجلة القيادة في عربة حياتنا التي هي « حرية الإرادة » أغلى هدية في الوجود لكي يكون الإنسان « مخيراً وليس مسيراً » يسلط على الخليقة كلها ويستخدمها لإسعاده . ويتذوق طعم الحياة ، ويميز بين الأمور ، وتتأثر وتنفعل عواطفه بالأحاسيس المختلفة . يرفض ويقبل ، يقرر ويبت في الأمور بإرادته الحرة فيشعر بالرضى والإرتياح النفسي كلما حقق هدفاً من أهدافه . ثم زودنا الله بخريطة واضحة تبين لنا معالم الطريق ، تظهر فيها بجلاء الطرق المؤدية إلى موانى السلام ومرافىء البركات ، أما الطرق المؤدية إلى الهلاك والدمار فعليها علامات إنذار وتحذير . وقد زودنا أيضاً بتعليمات المرور والقيادة منعاً للإصطدام بعربات الآخرين في هذه الرحلة الفريدة .

أما بخصوص عربة حياتنا نفسها وإمكانياتها ، فقد زودنا الله بالمعلومات الكافية . عن قوتها وطاقاتها وحدودها . فهيكلها مثلاً محدد فهو من تراب ، غير أن طموحها لا يقف عند حد ، فالنفس قد أعطيت لنا من فوق نفخة من الله فهي أبدية ليس لها نهاية . لذلك فهناك قوانين يجب اتباعها لصيانة هذه العربة « ... لا يرتكي فوق ما ينبغي أن يرتكي (رو ١٢:٣) حتى لا تتحطم عربة الحياة .

فعل الله هذا ، ثم قال للإنسان : والآن اذهب في طريقك ، اذهب بالسلامة .. عيني ترمقك وقلبي يتبعك ، وأنا معك . لعلك تذكر

http://coptic-treasures.com

محبتي الأبوية ، نصائحي الخارجة من عمق قلبي لصالحك وسلامتك . ومع كل حدبي عليك وحبي لك وخوفي عليك ، لن أسلبك الهدية التي أعطيتها لك لن أسلبك حرية إرادتك فأنت مخير تصنع ما تشاء .

وبدأ الإنسان رحلته في هذه الحياة ، وسار يتمتع بكل شيء جميل وحسن في هذه الجنة المملوءة من كل الخيرات ، ويتمتع بقربه من أبيه وخالقه ومصدر سعادته .. الله .

ويوماً قاد عربته ، وفي نشوة المتعة بكل ما حوله ، غلبه الشعور بنفسه والإحساس بذاته ، وظهر أنه قادر على كل شيء ، نسى حدود الطبيعة وضعتها وظن أنها قادرة أن تجاري طموحه غير المحدود . وسمع صوت إعجابه بنفسه وبما حققه من نجاح ، وتعالى هتاف الصوت في أذنيه حتى غلب كل صوت للعقل ، وحتى أنساه كل نصح وإرشاد ، قائلاً له في عجب وتيه ، لماذا لا تسرع السير بعربتك وتضرب رقماً قياسياً جديداً في السيطرة على كل شيء ، وفي معرفة كل شيء ، لماذا لا تصبح عارفاً بالخير والشر تماماً مثل الله ؟

وارتأى فوق ما ينبغي أن يرتقي إليه فمد يده ليأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تك ٢:٩،١٧) .

وإذا بعربته التي كلفها بأن تسير بأسرع من طاقتها والتي حملها أكثر ما تستطيع أن تتحمل ، تتحطم وتتهشم على الصخور ، ويجد

http://coptic-treasures.com

آدم نفسه وقد فقد قدرته على التمتع بالسعادة ، إذ فقد صلته بمصدر الحياة فمات عنها ووجد نفسه خارج أبواب السعادة (خارج الجنة) ، وجهد نفسه بعربة محطمة تحتاج إلى كفاح مرير ، إلى عرق وكد ومجهود لتنتج له القليل مما كان يحصل عليه بالراحة والهناء .

كل هذا وقلب الأب السماوي فيفرط حزناً على خليقته ، الإنسان الذي غرته القوة التي أعطيت له ، وخدعته النعم والمواهب والخيرات التي وضعها بين يديه ، فنظر إليها واهتم بها ، ونسى الواهب ، نسى مصدر الخيرات نسى نصائح حبه فراح بعيداً عنه ، وحطم نفسه بإرادته الحرة واستمر قلب الأب يدمي على إبنه الإنسان الذي فقد سعادته ومواهبه .

وفي ملء الزمان دبر الآب وسيلة فعالة لخلاص إبنه إذ أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له . أخذ طبيعتنا الجسدية ، ولبس هذا الثوب البشري « آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس ، وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (١) حتى يوفي عن جنسنا البشري جزاء مخالفته ، وبالإتضاع والإنسحاق عالج الكبرياء والغرور وأطاع حتى الموت ، ودفنا معه ليقيمنا معه في طبيعة جديدة « **لأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ** » وهكذا أعطانا ذاته ، قوة أعلى من قوتنا المحدودة لتسكن فينا لتعين ضعفنا ، إذا ما أسلمنا عجلة قيادة حياتنا بإختيارنا وفي حرية إرادتنا مطمئنين إلى أن هذا يؤدي بنا إلى السعادة والسلام الذي ننشده .

---

(١) في ٢:٧ـ٨

http://coptic-treasures.com

فالإنسان الذي يقبل المسيح فادياً لحياته يقر أنه بطبيعته البشرية ضعيف ، محطم ، ميت ، لا حيلة له ولا قوة ، لذلك يعلن موته عن الإنسان العتيق الضعيف ، وتوبته عن غروره وكبريائه والشيطان وكل شهواته ، مقرراً تسليم حياته وإرادته لذلك القوى المحب الذي مات على خشبة الصليب من أجل خلاصه وسعادته . الذي بدونه لا نستطيع أن نعمل شيئاً . وبذلك ينحصر مجهود المؤمن في أن يستخدم كل وسائط النعمة التي تساعد على أن يبقى صلته قوية بالله حتى يتمتع بنعمة الحياة ، ووجود الله داخله . « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات » (١بط ١:٣) .

هذا هو الرجاء الحي الجديد الذي وضعه الله فينا لحياة أفضل . أنه بينما نعرف ضعفنا ومحدوديتنا ، نعرف أن لنا قوة أعلى منا تكمل نقائصنا البشرية « تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل » (٢كو ١٢:٩) .

أن طبيعتي البشرية قاصرة لأنها محدودة بالمادة ومحدودة بالزمن لذلك حينما أضع مخطط حياتي لا أستطيع أن أطمئن لضمان تنفيذ هذا المخطط . إذ أي تغيير يطرأ عليه في المستقبل الذي أجهله تماماً قد يقلب خطة حياتي رأساً على عقب . فمن أين لي الطمأنينة والسلام الداخلي ؟

http://coptic-treasures.com

ولكن مجرد ثقتي وإيماني بأن الله الذي سلمته حياتي يسكن بداخلي ويقود حياتي ، وحبه الأبوي لي يخطط ما هو لسعادتي لأنه ليس محدوداً بالزمن مثلي ، ليس لديه ماض وحاضر ومستقبل . فكل الأزلية والأبدية مكشوفة لديه . وهو يسير معي فلا أجوز صحراء هذا المستقبل المجهول وحدي بل معي هذا النور الذي يكشف خبايا المستور ، إن هذا الشعور في النفس البشرية يملأها رجاء نحو حياة أفضل ومستقبل سعيد « فإن صرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي » (مز ٢٣:٤) .

إن إيماني أن هذا الذي وضعت عليه ثقتي واتكالي ، وأبني عليه مستقبلي هو حي لا يموت ، ثابت لا يتغير على مر الدهور « وهو أمس واليوم وإلى الأبد » (٢) يزيد طمأنينتي إذ أن رجائي سيصبح ثابتاً مستقراً وبدا أبني مستقبلي على صخرة الدهور التي لا تتزعزع » .

وهكذا يصبح الرجاء الذي فينا قوة لا ستهان بها .

---

(٢) عب ١٣:٨

http://coptic-treasures.com

(٢) فاعلية الرجاء

الرجاء قوة خلاقة :

إذ حينما رأى الإنسان أمامه هدفاً واضحاً للحياة ولو من بعيد يبدأ السير والسعي نحو هذا الهدف . والسير والحركة ، والسعي والجهاد ، والبناء والعمل . كلها مجهودات إيجابية ، كلها نشاط وحركة وديناميكية تسعى نحو الهدف ، تجاهد لكي تحقق شيئاً ، وتعمل عملاً ، وتنتج ثمراً فهي تخلق وتبني ، تجدد وتحسن ، بالرجاء يصبح العمل كرامة وشرفاً ، يصبح حقاً لا واجباً . وإذ من حقي أن أعيش فمن حقي أيضاً أن أعمل وأكد وأحقق أهداف الحياة . الرجاء الذي يخلق هذه النظرة الإيجابية للحياة والعمل والجهاد والكفاح وما في هذه كلها من عرق وتعب وألم وحرمان . هذا الرجاء بعينه هو الذي **يعطي المقدرة على الصبر والاحتمال** .

فالإنسان لا يستطيع أن يحقق كل رغباته بسرعة ، لأنها تحتاج إلى وقت طويل وخاصة حين يكبر الهدف ويعظم أثره . فالبناء الكبير يحتاج إلى مواد ومجهودات ووقت طويل حتى يرتفع . وكلما

http://coptic-treasures.com

سمت أهداف الإنسان وعظم أثرها عليه وعلى المجتمع ، احتاجت إلى مجهود أكبر ووقت أطول . وهذا معناه الصبر « ونفتخر على رجاء مجد الله . وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً في الضيقات ، عالمين أن الضيق ينشيء صبراً والصبر تزكية والتزكية رجاء والرجاء لا يخزى » رو ٥: ١ــ٥

الرجاء يؤدي إلى النضج النفسي :

فالفرق بين الهدف القريب وبين الهدف البعيد ، والفرق بين الرغبة العاجلة الفورية وبين الرجاء المنتظر هو الفرق بين الطفولة والنضج : فالطفل لا يفكر إلا في رغبته الوقتية ولذته الفورية ، لا يستطيع أن يفكر في المستقبل ولا يرى الهدف البعيد . لذلك لا يستطيع الصبر والإنتظار ولا يتحمل الحرمان . وكثير من الناس لم يبلغوا النضج الفكري والعاطفي الذي يعطيهم سعة الأفق وبعد النظر وتقدير العواقب .

وهو الفرق بين ضيق الأفق وسعة الأفق :

إن ضيق الأفق ينشأ عن إنطواء الإنسان على ذاته ، والتفكير في نفسه والتفكير في الجزئيات ، وأما سعة الأفق فهي خروج الإنسان عن قوقعة نفسه ، وعن تحوصله حول الذات والأنانية إلى التفكير في الآخرين : في العائلة ، في المجتمع ، في العالم كله . وليس للمصلحة الوقتية فقط بل للمستقبل أيضاً ، مستقبل الجماعة ومستقبل العالم . التفكير في الأمور ككل .

http://coptic-treasures.com

هو الفرق بين التعصب والتسامح :

إن قيود التفكير كثيراً ما تستعبد الإنسان فيفكّر بطريقته الخاصة فقط ويستعبد لنمط فكرية محدودة لا يستطيع أن يتحرر منها . فيحصر نفسه داخل حدود التعصب الفكري لجماعة معينة أو مدرسة فكرية ، أو قبلية أو لون أو جنس أو دين ، فيحكم على الأمور مقدماً قبل دراستها وتمحيصها . فينظر إلى الناس بمنظاره الخاص ، ويحكم على الناس بطريقته الفكرية الخاصة . فيجد نفسه مضطراً إلى التورط في أخطار إدانة الآخرين والحكم عليهم بالخطأ . وبالتالي البعد عنهم أو معاداتهم .

أما الذي يسمح لنفسه أن يقدر ظروف الآخرين وطريقة تفكيرهم ، ويضع نفسه مكانهم فيستطيع أن يفهم ظروفهم ويقدرها ويتفاهم معهم يستطيع أن يقدر مشاكلهم ويتعاون معهم . ويستطيع أن يلتمس الأعذار للآخرين ويتسامح ويتحمل ، بل ويمكنه أن يرى الخير في الآخرين ويستفيد منهم ، فيتخلص من تبرير الذات . ويرى أخطاءه ويصحح نفسه من حين إلى آخر . إذ ينزل من كبرياء البر الذاتي إلى إتضاع التسامح . مطبقاً بذلك القاعدة الذهبية التي نادى بها مخلصنا . « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء » (١) ، هذه هي القوة السحرية للرجال التي تحرر الإنسان

---

(١) مت ٧: ١٢

http://coptic-treasures.com

من قيود الذات والأنانية ، وتفتح أمامه آفاق الرجاء البعيدة فيرى البشرية كلها أمامه ، ويرى الزمن والتاريخ والأبدية كلها ، وهذا هو النضج الذي يقود إلى التكامل ، فيفكر الإنسان في حياته ككل مترابط متكامل ويفكر في حياته كجزء متفاعل في حياة العالم كله . جزء متفاعل في حياة العائلة والوطن والعالم .

فعلينا كأبناء الله أن نفكر بالروح نفسه الذي عليه حب الله وأبوّته لكل البشر بأجناسهم وأديانهم وألوانهم ومذاهبهم الفكرية المختلفة . فليكن فينا هذا الفكر الذي للمسيح ونسعى كسفراء للمسيح كأنه يعظ بنا .

الرجاء مصدر النصرة :

إن عمل المسيح الكفاري على الصليب وقيامته من الأموات هي التي فتحت أبواب الرجاء أمام الخطاة والضعفاء مبتدئاً باللص الذي صلب إلى يمينه ومستمرة في البشرية لكل من يعمل هذا الرجاء في داخله .

المسيح فتح لنا نحن الضعفاء باب الرجاء المتجدد كل يوم ، وبعمله هذا أصبح الصدّيق يسقط سبع مرات في اليوم ، والرب يقيمه (٢) . وحينما سئل إلى كم مرة أسامح أخي في اليوم ، قال سبعين مرة سبع مرات (٣) ، فإلى كم مرة يسامح الآب أبناءه ! .

---

(٢) أم ٢٤:١٦ (٣) مت ٢١:١٨

http://coptic-treasures.com

هذا الغفران اللامتناهي الذي لا يمكن أن يقاس عمقه لأنه نابع من عمق محبة الله . يفتح أبواب الرجاء أمام كل إنسان مهما استبد به الإثم أو إستعبدته الخطيئة وأحاطته التجارب فكم من خاطيء تاب وكم من نفس خلصت وكم من شرير أصبح قديساً بهذا الرجاء وحده .

وهكذا يقول الإنسان لنفسه . طالما أني أشتهي حياة أفضل وأسعد وأمامي أبواب النصرة مفتوحة فلماذا أبقى في الهزيمة ؟ الرجاء يشدد الركب المخلعة والأيدي المسترخية . الرجاء يقول لي : « أقوم الآن وأذهب إلى أبي » (١) .

كذلك الرجاء دواء فعال لشفاء الأمراض الجسمية والنفسية فمن المعروف أن المريض إذا استسلم لليأس وبعد عنه الأمل في الشفاء يتمكن منه المرض وتزداد عليه حدته . وعلى العكس فوجود الأمل يساعد على سرعة الشفاء والتحسن الصحي . فعلى المريض أن يضع الأمل بجواره كالمصباح . وهذه أيضاً مهمة الذين حول المريض من أطباء وأقارب وأصدقاء ، فعليهم أن يملأوا المريض أملاً .

فالرجاء مصدر النصرة على اليأس والفشل . وكم من أناس وصلوا إلى حافة الهلاك بسبب اليأس ، ولكن لما وقف بجانبهم ، من يحيي فيهم الأمل مرة ثانية ، قاموا وبدأوا الحياة من جديد ، بل حققوا نجاحاً أوفر من الأول .

---

(١) لو ١٨:١

http://coptic-treasures.com

[٣] كيف أنمي الرجاء ؟

١ ــ تنمية الإيمان بالله :

« الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى »(١) فالإيمان والرجاء يكملان الواحد الآخر ، فلا رجاء بلا إيمان ، ولا إيمان بدون رجاء « إنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح ... غرباء عن عهود الموعد ، لا رجاء لكم وبلا إله في العالم »(٢) .

فإذا أردنا أنا ننمي الرجاء في النفوس فعلينا أن نعمق الإيمان بالله في حياتنا .

٢ ــ التأمل في نعم الله ومداومة شكره عليها :

إذا ما دربت نفسي أن أعدد مراحم الله عليَّ ، وأتأمل خيراته التي لا تحصى . إذا ما أخذت كل يوم إحدى هذه النعم وركزت فيها تفكيري طوال اليوم . فإن قلبي ولساني لن يكفا عن ترديد الشكر لله . وهذا الشكر سيملأني أملاً ورجاء بالنسبة للمستقبل ، فإذا أتت الضيقات والعقبات والمثبطات ، فحينئذ سأتذكر كثرة الخيرات التي غمرتني . فتصغر الضيقات بجانبها وينتصر عليها الرجاء المختزن نتيجة لحياة الشكر .

---

(١) عب ١١ : ١ (٢) أف ٢ : ١٢

http://coptic-treasures.com

٣ ــ عضوية الكنيسة جماعة المؤمنين :

الإنسان الوحيد المنعزل تغلبه نوبات اليأس والقنوط ، أما الذي يعيش وسط الجماعة فيجد من يشجعه ويسنده ويحيي فيه الرجاء .

وأقوى الجماعات إرتباطاً هي التي تشعر أنها كلها جسد واحد . فالكنيسة جسد المسيح فيها المشاركة الوجدانية بأعلى مثلها .

« فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه ، وإن كان عضو واحد يكرم ، فجميع الأعضاء تفرح معه ، وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفرداً » ١كو ١٢:٢٦ــ٢٧

كذلك الرعاية في الكنيسة تزيد فينا الرجاء ، إذ الشعور بوجود أب روحي يقف بجانبي وسط الضيقات يشجعني ويطمئني . إذ هو « رسول رب الجنود » الذي يذكرني بحب الله لي ويوصلني إلى أحضان الآب السماوي .

ويعتبر سر الاعتراف صمام الأمن ، فهو يقي من الوصول إلى اليأس والفشل . لأنه كما يسميه آباء الكنيسة « الطب الروحاني ، فيه إرشاد وتوجيه . تطمين وتفريغ للشحنات المكبوتة التي إذا ما تراكمت ، كثيراً ما تؤدي إلى الإنحراف أو اليأس .

إن إستعراض تاريخ الكنيسة (الذي تقرأ فصول منه في كل خدمة ليتورجية) يشع ويحيي الرجاء ، إذ يسرد سجل أعمال الله مع البشر في ظروفهم المختلفة . ويبين أن الله الذي حفظ كنيسته على مر العصور قادر أن يحفظها ويحفظني . فالتاريخ سلسلة متواصلة الحلقات لثمار الرجاء وفاعليته . فلولا الرجاء لتوقف تاريخ البشرية .

http://coptic-treasures.com

٤ ــ تذكر الحياة الأبدية :

« إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فنحن أشقى جميع الناس » (١) أن نسمة الحياة التي وضعها الله فينا هي التي تجعلنا خالدين باقين إلى الأبد . وهي التي تصنع في الإنسان طموحاً لا نهاية له . بذلك فطموحنا لا يكتفي بتحقيق الرجاء في حياة قصيرة محدودة مثل أيام الغربة التي نقضيها على هذه الأرض . إن الروح الخالدة التي فينا تتوقع نصيباً أفضل وحياة أكمل في السموات . ولذلك يمتد الرجاء بأولاد الله إلى ما هو أعظم « إلى ما تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه » (٢) هذا الرجاء العظيم يرفع قيمة أبناء الله ويجعلهم يحتملون من أجل مبادئهم العالية أي نوع من الآلام ، ويصبرون على أقصى أنواع العذابات من أجل عظم الجعالة التي تنتظرهم ومن أجل الرجاء الكبير الذي فيهم .

إن سير الشهداء والمعترفين تحيي الرجاء ، فما الذي دعا هؤلاء الناس لاحتمال العذابات المرة وتقديم أنفسهم للموت بفرح سوى الرجاء في الحياة الأبدية وحسن المجازاة .

إن وجود هذا الطموح الكبير في الإنسان إثبات لخلوده وأبديته ، إثبات لتوقعه رجاء أعظم مما يراه ، ولو كان طموحه محدوداً وقاصراً لكان اكتفى بأن يقول لنفسه : « لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت »(٣) .

---

(١) ١كو ١٥:١٩ (٢) ١كو ٢:١٩ (٣) ١كو ١٥:٣٢

http://coptic-treasures.com

٥ ـ مسئوليتنا كشباب مسيحي نحو رجاء العالم :

إن الجهود الجبارة التي تبذلها شعوب كثيرة لتحسين مستوى المعيشة وتنمية الموارد المادية والتصنيع والتقدم التكنولوجي كلها جهود لازمة لتحقيق رجاء البشرية في حياة أفضل .

هذا حسن . ولكن المؤلم أن غالبية الجهود تبذل في ناحية واحدة فقط هي توفير الاحتياجات المادية للبشرية . ومعلوم لدينا أن الإنسان ليس مجرد مادة فقط . الإنسان روح وجسم وعقل . فالروح يجب أن يأخذ نصيبه من الرعاية أيضاً حتى يتم تكامل الشخصية وتماسك المجتمع ، فإن الإنسان كلٌ لا يتجزأ . إن ناحيته المادية تؤثر على حياته الروحية . ويجب ألا ننسى أيضاً أن حياته الروحية تؤثر على جسمه وعقله وعلى كل كيانه الاجتماعي .

الإنسان في حاجة إلى رجاء يدفعه ويقويه على الجهاد والكفاح والكدح في سبيل التطور والنمو ورفع مستوى المعيشة . وبدون الرجاء لا يفهم للحياة طعماً ويفقدُ الحافز والدافع العميق الذي يوجهه إلى الإيجابية والبناء . بل إن آلام الجهاد وصبر الكفاح بدون رجاء قد يشقيه وقد يفشله فيستسلم لليأس .

والإنسان اليائس الذي يملك الآن في عصر الذرة قوى مدمرة قد تفلت أعصابه لحظة فيدمر نفسه والعالم كله معه .

إن العالم في حاجة إلى رجاء واضح لامع ، يستطيع أن يُدخل الطمأنينة والإستقرار إلى نفسه المضطربة ، وإلى مستقبله المجهول .

http://coptic-treasures.com

ولن يصل العالم إلى ذلك إذ أهتم بالرجاء المادي فقط ، وأهمل الرجاء الروحي . فيكون تقدمه أعرج يقف على رجل واحدة ، وتكون شخصيته منقسمة غير متكاملة .

والملاحظ أن الإنسان الحديث قد استطاع التغلب على كثير من الأمراض الجسمية ، ولكن في الوقت نفسه إزداد قلقه ومخاوفه ، فازدادت نسبة اضطراباته العصبية وأمراضه النفسية .

فالإنسان الحديث يحتاج إلى السلام الداخلي والطمأنينة أكثر من أي وقت مضى .

إن الإحصائيات تدل على أن نسبة الإنتحار ترتفع إرتفاعاً مخيفاً بين الشعوب التي تكثر فيها المادية ويقل فيها الإيمان بالله . فالعالم في حاجة إلى الرجاء المبني على الإيمان بالله ، ومحتاج لأن يوفر الغذاء الروحي والسلام العقلي للنفوس الحائرة ، بجانب تقديمه الغذاء المادي للبطون الجائعة . وأعتقد أن هذه هي الرسالة المسيحية اليوم للعالم المتطور ، فهل نستطيع أن نعطي للعالم رجاء وإيماناً ؟

إن فاقد الشيء لا يستطيع أن يعطيه . فإن لم تظهر آثار إيماننا في حياتنا الشخصية كأفراد ، وحياتنا العامة ككنيسة ، فلن يستطيع العالم أن يؤمن بفاعلية الرجاء الذي فينا .

وإن لم تظهر فاعلية الرجاء الذي فينا في إيجابيتنا ومشاركتنا في الكفاح من أجل حل المشاكل التي تعترض أوطاننا وبالتالي العالم كله ـــ بالمساهمة الفعلية في تدعيم الوحدة القومية ، ثم في

http://coptic-treasures.com

عمليات بناء الوطن والتطوير والتصنيع ، وفي مكافحتنا في سبيل سيادة العدالة الإجتماعية وتكافؤ الفرص والتعايش السليمي وإستقرار السلام في العالم ، فلن تظهر للعالم .

إن لم يثمر الإيمان الذي فينا هذه الثمار فسوف لا يراه العالم ، وبالتالي لا يتبعه ولا يستفيد منه . بل على العكس قد يجحده وينكره ويعاديه .

إن الشباب قوة والرجاء قوة . ولو اجتمع الشباب والرجاء معاً لأصبحنا طاقة دافعة مثمرة تستطيع أن تحمل مشعل الإيمان بيد ، تمسك آلات البناء والتطوير باليد الأخرى .

إن الشباب المؤمن المملوء بالرجاء يحمل في جنباته أقوى الوسائل التي تستطيع أن تنقل الإيمان إلى النفوس الحائرة التي تعيش في ظلام اليأس وتسير بلا هدف . الشباب المبتسم للمستقبل ، المجاهد وبصبر وحب لإسعاد الآخرين ورفاهية المجتمع ، يعطي الصورة التي تشتهي الناس أن تتمثل بها وترغب في أن تنسج على منوالها . بل هو الذي يستطيع أن ينادي للآخرين عن ثقةٍ وخبرة شخصية ببشرى الخلاص قائلاً : « ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب » (١) .

---

(١) مز ٣٤ : ٨

http://coptic-treasures.com

إننا كشباب مسيحي في حاجة إلى بذل مجهودات كبيرة ومتوالية حتى نعطي العالم الصورة الصحيحة لإيماننا ورجائنا ، وحتى نستطيع أن نصحح الصورة المهزوزة التي ارتسمت في ذهن البعض عن الدين فنسبوا إدعاءات كثيرة تتهمه بالسلبية وتخدير الشعوب ، والتواكل وعدم المبالاة بآلام الأمم ومشاكل العالم .

فهل نرى الرجاء الذي أمامنا واضحاً ، وهل نحن على إستعداد لتوضيحه عملياً للعالم ؟

إن آمنا بذلك فعلينا أن يبدأ كل واحد منا بنفسه أولاً ، ثم بعائلته ومجتمعه الصغير وبوطنه وبكنيسته . وهكذا تنمو حبة الخردل فتصير شجرة كبيرة تتآوى فيها طيور السماء .

إن الإيمان العامل بالرجاء والمحبة يستطيع أن ينقل الجبال . يستطيع أن يغير الأفكار الخاطئة عن الدين ويصححها . يستخدم الدين في تكامل الشخصية البشرية وكرامة الإنسان وتماسك المجتمع .

الإيمان يستطيع أن يعمل المعجزات . يستطيع أن يجعل النفس البشرية راضية بناموس التغير والتطور الذي يسود المجتمع . فتعمل برضا مندفعة نحو الجزاء المادي والروحي معاً . لأنها ترى الجعالة البعيدة التي تستحق الجهاد والتضحية فتستطيع أن تحول الصحاري القاحلة إلى حقول مثمرة ، وكذلك القلوب الراجفة المضطربة إلى نفسيات مطمئنة يغمرها السلام والسعادة .

http://coptic-treasures.com

دور الكنيسة :

ولما كانت الكنيسة هي الجسم الذي يضم هذه الأعضاء المؤمنة ، وعن طريقة يظهر الإيمان والرجاء للشعوب وللعالم . فعلى الشباب مسئولية أخرى نحو الكنيسة أيضاً .

إن مجرد المسئولية السلبية في نقد الكنيسة ورميها بالتخلف أحياناً لا يؤتى ثمراً ، ولكن المسئولية الإيجابية النابعة عن الرجاء في تجديد شباب الكنيسة والكشف عن كنوزها الروحية ، لا تثمر إلا إذا اعتبر كل واحد منا نفسه عضواً مسئولاً في هذا الجسم الواحد . فالمسئولية لا تقع على الرؤساء فقط ، بل على الجسم ككل وعلى كل عضو فيه ، « فإن قالت الأذن لأني لست عينا ، أفلم تكن لذلك في الجسد ؟ » كو ١٢:١٦

هذا الشعور بالمسئولية الذي يبدأ في الشباب بالمساهمة في دراسة كنيسته والتعمق في إختباراتها الروحية ، ثم يتدرج في خدمة نواحي نشاطها المختلفة إلى أن يقود الكثيرين إلى تكريس حياتهم للخدمة المتخصصة في صفوف الشمامسة ، فالرعاة ، فالقادة . وهذا هو الرجاء الذي دفع ببعض الشباب المتدين المتعلم في الكنائس الشرقية إلى تكريس حياتهم والانضمام إلى صفوف الخدام لحمل الرسالة التي اختبروها وسعدوا بها وآمنوا بفاعليتها في حياتهم ، فأرادوا أن يستخدموها في إسعاد المجتمع الذي حولهم .

http://coptic-treasures.com

إن الروح المسكونية التي تغمر الكنيسة في هذه الأيام هي ثمرة من ثمار الرجاء ، والرجاء في أن تصبح كنيسة المسيح كنيسة « واحدة مقدسة جامعة رسولية » . الرجاء في أن تتحقق صلاة الرب يسوع وهو رأس الكنيسة حين صلى قائلاً : « ليكن الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني »(١) .

بهذا الرجاء نصلي إلى رب الكنيسة أن يعطينا الإتضاع الذي يمكن روحه القدوس من أن يقودنا لتحقيق إرادته في كنيسته في الوقت المناسب ، وبالطريقة التي يرسمها هو ، حتى لا يقف إنقسامنا هذا حاجزاً يحجب نور الإيمان عن الوصول إلى العالم .

إن هذه الجهود المؤمنة المملوءة رجاء في مستقبل عالم يسوده السلام والسعادة والرخاء لن تضيع هباء ، بل لابد أنها بنعمة الله واصلة إلى ما نرجوه حتى نسمع ذلك الصوت الحلو قائلاً : « هوذا مسكن الله مع الناس ، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً » حينئذ يقول الجالس على العرش : « ها أنا أصنع كل شيء جديداً » (٢) .

ختاماً « فليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس »(٣) .

---

(١) يو ١٧: ٢١ (٢) رؤ ٢١: ٣، ٥ (٣) رو ١٥: ١٣

http://coptic-treasures.com